

وليم جيمس والبراهماتية

محمد علي عبد الصادق

محاضر بكلية التربية-جامعة مصراتة

m.abdulsadek@edu.misuratau.edu.ly

ملخص البحث:

تطلق الفلسفة البراهماتية على عدد من الفلسفات المختلفة والتي تشترك في مبدأ عام تدعو بأن الفكرة تعتمد على ما تؤديه من نفع أياً كان نوع هذا النفع، وتعبير آخر أو ما تؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة في الحياة، وهذه الفلسفة ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر، وأول من أطلق على هذه الفلسفة بالبراهماتية هو الفيلسوف والعالم الأمريكي ((تشارلز ساندرز بيرس))، ثم برز الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي ((وليام جيمس)) حيث كانت كتاباته تلقي اهتماماً كبيراً في الأوساط الفلسفية، فلعبت دوراً ملحوظاً في الفلسفة المعاصرة، ثم استكملها الفيلسوف الأمريكي الكبير ((جون ديوي)) فصارت به مكتملة بوضعه منطقاً للتفكير البراهماتي، حيث فتح لها مجالات عدة للتطبيق. كما ازدهرت هذه النظرية على يد فيلسوفنا وليام جيمس الذي كان ينظر للعالم على أن حقيقة مرئية غير مكتملة يصفها بالتعدد والتغير والحركة المستمرة، ونستطيع أن نصف فلسفته هذه بأنها زمانية ميتافيزيقية تؤمن بالتجربة والتعدد والتغير والضرورة فكان يصف الفيلسوف العملي هو ذلك الذي يقترّب من الأشياء وينظر إليها عن كتب وتلك الفلسفة لا تؤمن إلا بالجزئي الفردي لتجزئتها للواقع وتحليله، وكان وليام جيمس ينظر إلى مشكلة الشر ويصفها بالعملية التي يمكن حلها بواسطة التجربة، فكان يرى العالم بأنه ليس شراً محضاً بل حقيقة مرنة تستخلص منه خير ما فيه، ويرى بأن قدرة الله موجودة تخلصنا من شرور هذا العالم، وبشأن الاعتقاد بأن وليام جيمس يقرر بأن هناك أفكار وليس بوسعنا أن نحكم عليها بأنها صحيحة أو كاذبة لاستحالة وجود المعرفة العلمية الصحيحة، فإننا لا نستطيع أن نحيا أو نفكر دون وجود قدر من الإيمان أو الاعتقاد، ويرى الاعتقاد بأنه فرض ناجح، ويتساءل وليام جيمس بقوله لماذا لا نلجأ إلى إدارة الاعتقاد؟ لأن الاعتقاد عنده يمكن أن يكون عاملاً فعالاً من عوامل تحقيق ما يؤمن به، كما تناولنا في نقد هذه النظرية بأنها لا تقدم لنا بحثاً إيجابياً عن الحقيقة وتمثل الامتداد الغير المشروع لفكرة المنفعة، ويقرر النقاد بأن الحقيقي نافع لأي حقيقي وليس حقيقي لأنه نافع، ونجد عند تطبيق هذه الفلسفة على المعتقدات الدينية لأننا لا نسلم بالحقائق الدينية مجرد أنها نافعة؛ بل هي حقائق في ذاتها دون النظر عن فائدتها ونتائجها، كما يعاب عن البراهماتية ميلها للفردية

وإهمالها للجماعية وهذا يجعل الأفراد عاجزين عن تحمل المهام الاجتماعية والتي تتداخل في حريتها بالفردية هنا تذكرنا بما دعا إليه السوقسائي بروتاجوراس لجعل الفرد مصدر للحقائق دون سواه.

الكلمات المفتاحية:

البراهماتية-وليام جيمس - الفلسفة- العملية الحقيقية- الاعتقاد.

Abstract:

Pragmatic philosophy is based on a number of different philosophies that adopt a general principle assuming that ideas depend on its benefits regardless of what kind of benefit it may have. In other words, they are ideas which lead to successful practical results in life.

This philosophy emerged in the United States of America in the last quarter of the nineteenth century. The first to call this philosophy "pragmatism" is the American philosopher and scientist "Charles Sanders Pierce". Later, the American philosopher and psychologist "William James" appeared with his writings which received great attention in the world of philosophy. Then, it was completed by the great American philosopher "John Dewey". It became complete by establishing the philosophy of pragmatic thinking, as he opened up several areas of application for it.

This theory also flourished by the help of philosopher "William James", who was looking at the world as an incomplete visual reality, describing it as multiple, changeable with continuous movement. His philosophy can be described as metaphysical and temporary believing in experience, multiplicity, change and becoming. He described the practical philosopher as the person who approaches objects and observes it closely. This philosophy does not believe but in the individual parts of reality in order to analyze it. William James considered evil describing it as an operation that can be solved by experience. He did not see the world as fortified evil but rather as a flexible fact where people can extract the best of it.

He also considered that god's ability is there to help us get rid of evil in this world. As for the belief that William James decided that there are ideas and we cannot judge whether they are true or false because correct scientific knowledge does not exist, we cannot live or think unless we have belief and faith to a certain degree.

In addition, James understands belief as a true assumption. He put forward the question 'Why do not we try to control belief? According to him, belief can be an effective factor among several factors which can prove what he believed in.

Key Words:

Pragmatism-William James-philosophy- the real operation- belief.

مقدمة البحث:

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي بعث رحمة للعالمين، وعلى

أصحابه الذين كانوا أعلام الهدى، يهتد بهمديهم، ويقتدى بهم كما قال عليه السلام: أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم. أما بعد فإن طب المعرفة وصولاً للحقيقة طريق صعب يحتاج إلى الصبر والمثابرة وبعونه تعالى أتناول بحثي هذا وهو بعنوان المذهب البراجماتي عند وليم جيمس كما لهذا البحث من أهمية في مجال المعرفة فهو حري بأن يبحث بعد الغوص في بطون الكتب مراجعاً منها ومصادر والتي تناولت هذا الموضوع باستفاضة وإن كانت المصادر والمراجع لم تكن بالقدر الكافي ولكن ذلك لا يمنع من البحث والتحري وصولاً للحقائق والمعارف التي تدعم هذا البحث. وسبب اختياري لهذا الموضوع هو اعتقادي بأن البحوث يشكلون سلسلة من المعارف يكمل كل واحد منهم الآخر للوصول إلى المعرفة الصادقة والتي تفيد طلاب العلم والمعارف ودعوة إلى الاطلاع فما أوتينا من العلم إلا قليلاً فمعرفةنا للأشياء يبرهن بأن هناك أشياء لا نعرفها ولا يمكننا الوصول إلى معرفتها وهذا لا يتسنى لنا إلا بالبحث فإن وفقت للوصول إلى المعارف والحقائق بتوفيق من الله وإن لم نصل ولم نوفق فهذا بعجز مني لأنني من البشر وسأتناول في بحثي هذا المباحث الآتية:

في المبحث الأول ذكر نبذة عن وليم جيمس والبراجماتية.

وفي المبحث الثاني رؤية البراجماتية لفلسفة الشر كمشكلة عملية.

المبحث الثالث: الاعتقاد في الفلسفة البراجماتية نقد المذهب البراجماتي وسأتناول بحثي هذا بأسلوب استنباطي

وتحليلي.

نتائج البحث والتوصيات.

ثم أصل إلى ذكر المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

فيلسوفنا وليم جيمس: هو من رواد المنهج البراجماتي وهذا واضح من خلال قدرته على الجمع بين الثقافة العملية المادية وبمعرفة بأعماق النفس البشرية فهو من أوائل الذين انطلقوا من علم النفس إلى أفاق الفلسفة وذلك من خلال كشفه عن الطاقات الإبداعية للإنسان.

"ولد وليم جيمس في 11\1\1842 ميلادية في مدينة ((نيويورك)) في أسرة عريقة في الثقافة والمعرفة وهذا يؤكده مكانة أبيه هنري جيمس الذي كان معروفاً في مجالي المعرفة والثقافة ويرجع لوالده الفضل في تثقيف ابنه وليم بشتى المعارف ومن خلال مصاحبته له في ترحاله إلى العديد من الدول الأوروبية وهذا جعله متفوقاً في دراسته وبوصوله إلى الدراسة الجامعية بجامعة ((هارفارد)) حيث كان ذكياً مولعاً بدراسة الطب ثم اتجه إلى دراسة الطبيعة فاشتغل بعلم النفس والفلسفة حيث أسس أول معمل سيكولوجي في أمريكا" (زكريا، 1968، صفحة 26) فأصدر وليم جيمس أول مؤلفاته بعنوان ((مبادئ علم النفس)) عام 1890 وهذا جعل وليم جيمس ذائع الصيت

وقاده ذلك إلى دراسة الفلسفة، فدرس بعض مسائلها الميتافيزيقية وألف كتابه ((إدارة الاعتقاد)) عام 1897م وكذلك كتابه ((أنحاء من التجربة الدينية)) عام 1900م.

وهنا نجد أنه قد طبق منهجه العلمي على عدة مشاكل فلسفية فأصدر بعدها كتاباً بعنوان ((معنى الحقيقة)) كما اشتغل أستاذاً للفلسفة في جامعة ((هارفارد)) لثلاث عشرة سنة الذي جعله ذائع الصيت في مجال الفلسفة في أمريكا وأوروبا ثم توفي وليم جيمس عام 1910م بعد أن خلف تراثاً معرفياً استفاد به من جاء بعده من طلاب العلم والمعرفة.

وليم جيمس و البراهماتية:

الفلسفة البراهماتية ((Pragmatism)) هو اسم يطلق على عدد من الفلسفات المختلفة لاشتراكهما في مبدأ عام تبياناً بأن صحة الفكر تعتمد على ما تؤديه هذه الفكرة من نفع، وبأي نوع من أنواع النفع أي على ما تؤدي إليه من نتائج عملية مفيدة وناجحة في الحياة، فكان أول ظهور لهذه الفلسفة في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر وكان أول من أطلق عليها هذا الاسم هو الفيلسوف والعامل الأمريكي ((تشالز سلنדרز بيرس)) وقد برز بعده الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي الشهير ((وليم جيمس)) فكان لكتاباته في هذا الشأن اهتماماً كبيراً في الأوساط الفلسفية فكان لها أثر كبير في الفلسفة المعاصرة وتبعه في هذا الشأن الفيلسوف الأمريكي ((جون ديوي)) سعياً لتطوير هذه الفلسفة كما حاول وضع منطقتاً للتفكير البراهماتي ففتحاً مجالات عديدة للتطبيق وقد أدخل روح البراهماتية في كثير من المجالات الفكرية كما انتقلت هذه الفلسفة إلى بريطانيا على يد الفيلسوف الإنجليزي ((ف. س. س. شيلر)) ويرجع له السبق في إطلاق اسم ((المذهب الإنساني)) فيري ((جون ديوي)) بأن البراهماتية النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتجدد في حدود الاعتبارات العملية أو الغرضية، فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتجدد في حدود الاعتبارات النظرية التأميلية الدقيقة أو الاعتبارات الفكرية المجردة" (Beck, 1979, p. 121).

المبحث الثاني: رؤية وليم جيمس للبراهماتية:

يرى وليم جيمس البراهماتية بأنها فلسفة تجريبية متطرفة لأنها تناهض سائر النزاعات المثالية وهو كذلك يعارض الروح المذهبية والتي تدخل الكون بأكمله في مركب عقلي معد من ذي قبل فهو يرى بأنه لا يمكن تفسير العالم بمبدأ ميتافيزيقي واحد فالعالم من وجهة نظر وليم جيمس هو عبارة عن حقيقة مرئية غير مكتملة يمكن وصفها بالتعدد والتغير والحركة المستمرة "إن فلسفة وليم جيمس هي فلسفة زمانية ميتافيزيقية تؤمن بالتجربة والتعدد والتغير والصورورة والزمان" (زكريا، 1968، الصفحات 27-28) ويرى وليم جيمس بأن الفيلسوف العملي أي البراهماتي هو الذي يقرب من الأشياء وينظر إليها عن كتب لأن الفلسفة العملية لا تؤمن إلا بالجزئي الفردي لأنها تجزئ الواقع وتحلله. كما يرى الحقيقة بأنها القضية التي لا تكون صحيحة إلا إذا كان قبولنا لها ما ينتهي بناء

إلى نتائج مبرهنة وهذا يعني بأن صدق القضية رهن بما يترتب على التسليم بها من إرضاء لحاجات الفرد البشري فكل الحقائق العلمية هي مجرد فروض يتحقق من قصتها عن طريق ملاحظة التجارب الجزئية فكل تصوراتنا ومفاهيمنا نخضعها بحكم التجربة وهذا يعني عند وليم جيمس بأن صدق القضية رهن بما يترتب عليها من إرضاء الحاجات للفرد سواء كانت حاجات بسيطة أو معقدة "فالحقيقة عند وليم جيمس تمثل الإدراك المباشر للموضوع فهو المرحلة الأخيرة للموضوع بينما المرحلة الثانية تمثل امتحان الفكرة عن طريق التطبيق والاختبار العملي بحيث كان الخطأ يعتبر هنا فشلها أو خسارة لذلك تعتبر الحقيقة هنا هي الاعتقاد الحيوي" (المرجع السابق، صفحة 35)، والحق عنده لا يمكن أن يكون حقاً إلا إذا كان في خدمة الخير ويؤكد ذلك عندما يرى بأن الحقيقة ليست سوى اسم الجنس الذي ينطبق على كافة أنواع الأفكار ذات القيمة العملية المحددة بما يتحقق عملياً من تأثره في مجال التجربة.

كما يرى وليم جيمس بأننا نعيش في عالم واقعي فالحقيقة قد تكون فيه نافعة أو ضارة فالأفكار التي ترشدنا إلى الواقع والتي نأخذ بها هي أفكار صادقة وإشباع هذه الأفكار هي واجب إنساني يقع على عاتقنا جميعاً وامتلاك الحقيقة أبعد أن يكون غاية في ذاته فهو عبارة عن طريق يمهّد إلى إشباع حاجاتنا الأخرى الأشد حيوية بالفلسفة البراهمانية تعتبر الحقيقة شيئاً مرتبطاً ارتباطاً قوياً وجوهرياً بالطريقة التي نتبعها في تجاربنا في هدايتنا إلى لحظة أخرى نريد أن نصل إليها فقيمة العقل تتمثل في كونه يؤدي إلى هذه الوظيفة وعند وليم جيمس يرى الحقيقة مرتبطة بالأفكار "الأفكار لصادقة هي الأفكار التي يمكن أن تتحقق من صحتها والتي يمكن أن تثبت صحتها ويمكن تقويتها وتدعيمها فالأفكار الكاذبة هي التي لا نستطيع أن نثبت صحتها ولا يمكن تدعيمها فالصدق على ذلك محدث للفكرة وهذا الصدق ذاته يتولد من الأحداث فصحة الفكرة مرهون بحدوثه أو فعل" (الشنطي، 1981، صفحة 208) وهنا نجد وليم جيمس يقرر بأن معيار الحقيقة ليس هو الحكم العقلي، وإنما السلوك العملي النافع المترتب عليها وهو في هذا الأمر يميز بين نوعين من الصدق في القضايا، صدق قائم على مدى تطابق القضية مع الواقع الخارجي فتكون في حالة التطابق صحيحة وغير ذلك كاذبة وبهذا تكون القضية صادقة والفكرة صحيحة إذا أدت إلى نتائج عملية نافعة تفيد الفرد.

الشر مشكلة عملية:

"فالشر عند وليم جيمس هي مشكلة عملية يمكن حلها بالرجوع إلى التجربة نفسها من أجل التحقق وهذا يجعل في استطاعتنا ان نجعل من العالم شرّاً آخر لأن هذا العالم ليس شرّاً محضياً بل هو حقيقة مرنة قابلة للتحسن بشرط أن تصبح عزيمتنا على أن نستخلص منه خير ما فيه وليس معنى هذا استئصال الشر كله، ولكنه قهر الشر والتغلب عليه" (زكريا، 1968، صفحة 45)، ويقرر وليم جيمس أن العالم خير ولكن الشر موجود وقدرة الله موجودة تخلصنا منه ويساعدنا على محاربهه فالقلق والصراعات والأزمات النفسية التي يواجهها الفرد يقابلها شعور

قوي "والإيمان بأن هناك قوة عليا وهي الله نجد لديها العون والعون الذي يساعد الفرد في الحياة وهذا من مبادئ البراهمانية والتي تقتضي بأن يكون فرض وجود الله فرضاً حقيقياً والذي من شأنه بعث السلوى والسكينة في النفس البشرية لأن العالم اللامرئي متوقف على ردود أفعالنا الشخصية ولا توجد قضايا قطعية كما هي الشأن في القضايا في المذاهب الفلسفية المثالية " (الشنطي، 1981، الصفحات 11-12)، بل هي ترشدنا إلى استخلاص من كل كلمة قيمتها العلمية ومدى صحة الفكرة أو خطأها يعرف من خلال ميدان الحياة نفسها.

وليم جيمس يرى الفلسفة البراهمانية بأنها طريقة في التفكير حيث قال: "هي أقرب أن تكون طريقة في التفكير تحاول وضع معيار للتمييز بين ما هو حق وما هو باطل في الأفكار والمعتقدات لحسم المنازعات الميتافيزيقية " (جيمس، 1965/1960، صفحة 61).

المبحث الثالث: إرادة الاعتقاد في الفلسفة البراهمانية:

يعتقد وليم جيمس بأن هناك أفكار ليس في استطاعتنا أن نحكم عليها بأنها صحيحة أو كاذبة لأن المعرفة العلمية الصحيحة مستحيلة "لأننا لا نستطيع أن نحيا أو نفكر دون قدر من الإيمان أو الاعتقاد وليس الاعتقاد إلا فرض ناجح فلماذا لا نلجأ إلى إرادة الاعتقاد حيث لا نستطيع الوصول إلى بدهة عقلية يقينية" (زكريا، 1968، صفحة 42)، فالاعتقاد يمكن أن يكون عملاً فعالاً من عوامل تحقيق ما نؤمن به أو نعتقده فالاعتقاد على سبيل المثال بأمانة شخص ما قد يكون هذا كفيل ببث روح الأمانة في نفسه وثقتك فيه قد تجعل منه شخصاً جديراً بالثقة حقاً، "لأن الإرادة لها دخل كبير في معظم ما ندين به من معتقدات فنحن لسنا موجودات عقلية محضة تتولد كل معتقداتنا على اقتناع عقلي ويبرهنه منطقية بل إن عامل الاختيار هو الذي يحدد اعتقادنا لأن اختيارنا لمعتقداتنا لا يكون إلا عن طريق التجربة" (المرجع السابق، صفحة 42).

ويرى وليم جيمس بشأن التعددية والواحدية للبراهمانية حيث يقول "البراهمانية يجب أن تدير ظهرها للواحدية المطلقة، وتولي وجهها شكر طريق التعددية الأكثر تجريبية" (جيمس، 1965/1960، صفحة 193) ونظرة وليم جيمس بشأن العالم وارتباطه بالمعتقدات يرى بأن العالم في كل لحظة من لحظاته هو معتقدات أي أن الطابع الذي يأخذه العالم يتوقف إلى حد كبير على إيماننا نحن وفي هذا العالم مجال واسع للفعل الإنساني الذي لا بد له أن يغير من مجرى الواقع والوقائع لأن الإيمان الفردي إنما يقوم في عالم ناقص متكثّر ولهذا فإن الاعتقاد يمكن أن يساهم بشكل فعال من هذا العالم فإرادة الاعتقاد هي القدرة الإنسانية على الفعل في كثير من المسائل الأخلاقية والدينية بالرجوع إلى التجربة نفسها حيث يستحيل على العقل أن يقدم لنا من الأدلة النظرية ما يفني بالفعل في تلك المسائل وعلى سبيل المثال فلا يستطيع الجراح الذي لا يعرف ما إذا كانت العملية التي سيقوم بها كفيلة بإنقاذ حياة المريض أم لا أن يتوصل إلى الحقيقة بالتوقف عن الحكم بل لا بد أن يتخذ فرضاً محتملاً يعمل بمقتضاه. كما لو عاملنا بشخص على أنه عدو فإن هذا قد يخلق منه عدواً بالفعل وعلى النقيض فإننا إذا عاملنا شخص على أنه صديق فإن

هذا قد يجعل منه صديق بالفعل وهذا يؤكد ما يؤمن به البراهماتيون فعندهم الإدراك الحسي يكون صحيحاً إذا مكننا من استخدام الشيء، ويكون باطلاً إذا أخفق في ذلك، وما يؤكد ذلك ولیم جیمس نفسه بأن التفكير من أوله إلى آخره وفي كل حالاته هو من أجل الفعل وبأن القيمة الفورية لأفكارنا إنما تتمثل في الاستخدام الذي يمكن أن نحدده لها ولا بد هنا من حدوث الفارق العملي بين الاعتقاد بصحة الفكرة وبين الاعتقاد بطلانها فالفكرة تكون صحيحة عندما يكون لها القيمة الفورية فهي تحقق لنا فائدة في الحياة العملية على عكس الفكرة الخاطئة.

كاعتقاد ولیم جیمس بوجود الله فعنده معتقد صحيح لأنه يؤدي إلى نتائج عملية مرضيه و في ذلك الوقت ينكر الموقف الإلحادي لأننا لا يمكن أن نجد وجود الله و اقراره هذا مبني على أساس براهماتي لأن الإعتقاد يحقق الرضى و السلوى في النفس البشرية فالبراهماتيون يؤكدون بأن نجاح الإعتقاد هو ثبوت صحته بالخبرة العملية والعلمية لأن الإعتقاد في أصله هو حقيقة الأمر دعوى بالصحة فنحن نختبر الإعتقاد بما يترتب عليه من نتائج في دنيا الواقع أو لما يقود إليه من سلوك ناجح لمواجهة المشكلات الواقعية.

فالتجربة هي مقياس الحقيقة والمعرفة هي أداة في خدمة النشاط أو الفعل وليس هدفاً في ذاتها فنحن نفكر لنحل مشكلاتنا و ما يواجهنا من صعاب ((لأن حل ما يعترضنا من مشكلات هو غاية تفكيرنا)) " كيف نحكم على قضية ما بأنها حقيقة استناداً إلى التجربة " (أبودبوس، 1996، صفحة 185) فالأفكار تقاس بما يترتب عليها من نتائج والنتائج تقاس بما تحقق من نفع أو نجاح فما هو نافع للفكر هو نافع للسلوك .

نقد المذهب البراهماتي:

فلكل نظرية أو مذهب علمي إيجابيات وسلبيات قابلة لنقد من قبل المهتمين بالمعارف التي تعرض للعامة وتكون قابلة للتطبيق في المجالات العلمية والتجريبية وكان من بين ذلك البراهماتية حيث سجلت عليها عدة نقاط نقدية من قبل النقاد نجمل ذلك فيما يأتي :

1- أهتمت البراهماتية بأنها لا تقدم لنا بحثاً إيجابياً عن الحقيقة، "فهي عبارة عن محاولة لاكتشاف الأفكار الخاطئة، و بالتالي لا تكون لها آثار عملية فهي بذلك منهج سلبي لا إيجابي لأنها تهدف إلى إستبعاد الأفكار الخاطئة والتي لا تكون لها تلك الآثار العملية لأن الاستبعاد منهج سلبي للكشف عن الحقيقة وليس إيجابياً بحال من الأحوال" (هويدي، 1974، الصفحات 164-165) .

2- بعض الباحث يلاحظون الامتداد الغير المشروع لفكرة المنفعة، لفخر البراهماتيون ومن بينهم و لیم جیمس بإتساع أفقهم و هذا من شأنه القضاء على معنى النفعية و ذلك بتعريفهم الحقيقة عن طريق المنفعة لأن النافع هو الإيفاء بحاجات حيوية لأن هناك حاجات ترمى إلى حفظ الحياة والعمل على استمرارها و لكننا نطلق اسم الحاجة على ما يعبر عن أكثر الميول الوجدانية تنوعاً فالإنسان بحاجة إلى أن يكون محترماً، و محبوباً وهو بحاجة إلى أن يجب و أن يرى إلى من يحبهم سعادة في حين ان الحاقدون والحاسدون بحاجة إلى أن يروا الآخرين تعساء و أقل سعادة منهم

و دينياً أي عقائدياً بحاجة المسلم إلى الإيمان بوجود الله وخلود النفس كما أن هناك حاجات للإنسان عاطفية و عقلية كالحاجة إلى المعرفة والفهم " كما نجد للإنسان حاجات وتناظرها منافع بحيث تبلغ من التنوع حدًا يجعل كل تعريف للحقيقة والمنفعة يرجع آخر الأمر إلى أنه لا يوضح من طبيعتها شيء" (رشوان، 1992، صفحة 83).

3- و إن كان الحقيقي نافع على نحو ما فهذا لا يستتبع القول بأن المنفعة أساس لتعريف الحقيقة لأن الحقيقي نافع لأنه حقيقي وهذا قبل اعتبار للمنفعة، فالبراجماتية تعرف الحقيقة بما تفي بالحاجة "لأن القاعدة الأساسية عندما نشغل انفسنا بالكشف عن الحقيقة بأن نصدق كل اعتبار للمنفعة ولو تطرق الشك إلى نفوسنا ومرة أخرى نقول "أن الحقيقي نافع لأنه حقيقي، وليس حقيقياً لأنه نافع" (المرجع السابق، صفحة 83).

فالبراجماتيون وعلى رأسهم وليم جيمس هم يلعبون لعبة خاصرة مع الحقيقة لأنهم يجعلون من الحقيقة حقنا في الاستمرار في الاعتقاد بما ينفعا.

فهم هنا يرفضون الحقيقة بأسرها لأنهم يضعون الفكرة ذات النتائج المرضية مكان مفهوم الحقيقة وهذا يعني فتح الباب لأي خيال لذيد فما يمكن أن يرضي الإنسان أكثر من استمراره في الإعتقاد بأنه ذكي وهو في الواقع أبله.

"إن العالم مليء بالكثير من السخف الذي يستشعر معه الإنسان قسطاً من المتعة" (لويس، 1978، صفحة 193).

4- و عند تطبيق النظرية البراجماتية عن الحقيقة في مجال العلم لإيمانهم بأن قضايا العلم قضايا حقيقية لافادتها عملياً وهنا نجد العديد من المعتقدات كانت ولا تزال لها فائدة معينة وهي معتقدات صحيحة بينما هناك معتقدات كانت مفيدة و إن كانت غير صحيحة لأننا باستطاعتنا التفريق بين الفروض المتبته و كما ذل على ذلك بأن نتائج العلم يمكن وضعها تابع للصنف الأخر كما يعيجه البراجماتيون فقبول نظرية معينة و اعتبارها صحيحة بدون برهان و مجرد أنها نافعة او ترضينا من ناحية ما هو نقيض الموقف العلمي تماماً لأن العلم لا يتقدم إلا بنبد هذه المعتقدات من مجالات العلم الحقيقي .

"إن الفرض المرضي فحسب هو في أغلب الأحيان أقرب الفروض إلى الخطأ" (المرجع السابق، صفحة 193).

5- وبشأن تطبيق النظرية البراجماتية على المعتقدات الدينية يبدو بالنسبة لنا كمسلمين كاريثياً، لأننا لا نسلم بالحقائق الدينية مجرد بأنها نافعة، بل هي حقائق في ذاتها بغض النظر عن فائدتها و نتائجها العلمية الناجحة، لأننا لو سلمنا بهذا المعيار البراجماتي لكنت آية عقيدة مهما تكن أسباب إنكارنا لها حقيقة لمن يرى أنها نافعة له لاستواء النحل المبدع مع الديانات السماوية الحققة، فإننا لو قلنا لشخص ما " انني اعتبر أن عقيدتك خرافة، ولكن إذا كانت مفيدة لك فهي عقيدة حقيقية بالنسبة لك " (المرجع السابق، صفحة 194) أليس في ذلك سخرية به.

6- البراجماتية تركز على الفرد بل تعلي من الفردية إلى أقصى حد وهذه النظرة سادت في أمريكا في القرن التاسع عشر فهذه النظرة الفردية بما يرتبط بها من فوضى و غموض والتي تجعل الأفراد عاجزين عن تحمل النظام و الرقابة والمهام الاجتماعية و التي تتداخل في حريتها فهذه الفردية تذكرنا بما كان عليه الفيلسوف السوفسطاتي ((بروتاجوراس)) حيث قال :

"أن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً حيث كتب شيلر قائلاً: ينبغي علينا ان نعود مرة أخرى إلى ما فعله بروتاجوراس فنتخذ الأحكام الفردية لأشخاص مفردين نقطة بدء لنا" (رشوان، 1992، صفحة 86)، فابروتاجوراس يعتبر أحد هؤلاء الذين كانوا يخلطون الحق بالباطل كما علق على ذلك الفيلسوف اليوناني افلاطون بحق في ((تيتانوس)) يقول لو سلمنا بمبدأ بروتاجوراس لكن معنى ذلك التسليم بأن المجنون تعادل في صدقها حجج العاقل وان أخط الحيوانات شأنًا قد يكون له رأي في هذا الكون لا يقلل حصافة عن رأي الإنسان الحكيم .

وهذه النقاط التي ذكرت نقداً للنظرية البراجماتية يدل على ما احتوته من هفوات تم استخلاصها من خلال ما ترمي اليه هذه النظرية فالبراجماتية نظرية آلية متخلفة كما أنها مادية جامدة غير جدلية لم تعمل حساباً للتطور المتناسك و أخيراً فهي مادية متبدلة لم تفهم جوهر الانسان وعلاقاته المختلفة كما وصفت بأنها مادية عتيقة جامدة تقتصر على تفسير العالم دون ان تكون لها القدرة على التغيير في حين أن المادية الحقيقية جدلية متطورة وهذا لم ينتبه له فلاسفة البراجماتية .

نتائج البحث والتوصيات:

البراجماتية فلسفة علمية عملية انبثقت من الروح المادية للقرن العشرين وارتبطت بطور منهج البحث العلمي والاتجاهات الواقعية المعاصرة فهي أمريكية النشأة رأس مالية الإتجاه والبراجماتية تلتقي ماركسية في الارتداد إلى المادة وإستخدام الاسلوب العلمي بينما تختلف معها جوهرياً في مدلولها الاجتماعي و السياسي والاقتصادي لتمثيلها عن فلسفة المجتمع الرأس مالي والبراجماتية تعني العمل و المزاولة ويصبح المقصود منها بأنها المذهب العملي او المذهب النفعي فهي بالتالي تحارب المذاهب المتألية في نزعتها مع الواقعية فهي ترفض بحث مشكلة السبقية الفكر على الواقع أو العكس لأن فلاسفة البراجماتية يجعلون من نظرية المعرفة أداة للعمل ووسيلة للإستفادة من الواقع والسيطرة عليه .

لذلك كانت منهجاً علمياً قبل ان تكون فلسفه ميتافيزيقية وبالتالي كانت طريقة للعمل والمخاربة وليست نسقاً عقلياً مجرداً فالأفكار بالتالي كانت غير كامنة في طبيعتها بل في ما ينتج عنها من آثار عملية تفيدها في حياتنا وبالتالي الحقيقة أصبحت تقاس بتناسقها في عقولنا كما يرى المثاليون لا بتطابقها مع الواقع الخارجي كما يقول الواقعيون لأن حقيقة الفكر عند فلاسفة البراجماتية تتمثل في الممارسة العملية التي تدفعنا للقيام بها وتنتظر النفع الذي سيعود

علينا منها و بالتالي كانت البراجماتية تقوم على مبدأ المنافسة الفردية الحرة التي يرتبط بها العمل المنتج النافع وهذا يدعو إلى فهم الواقع المعاش لاستغلاله والسيطرة عليه سعياً وراء المنافع التي يعود علينا منه وتتبع المذهب البراجماتي تجد أن الفيلسوف الأمريكي ((بيرس)) هو من وضع الأفكار الأولى للبراجماتية عندما قررت بأن كل فكرة لابد أن تكون تمهيداً للعمل الذي يأتي بعدها ووليام جيمس يرجع له الفضل في بناء هذا المذهب لما كان يراه حول العمل و المنفعة لأنها المقياس لصحة الفكرة بل هو دليل هدفها كما استكمل تلك الأراء بعده الفيلسوف ((جون ديوي)) عندما قرر بأن العقل هو أداة للعمل وهو وسيلة المنفعة و التوصيات التي أوصى بها في نهاية بحثه هو الرجوع إلى الدين الإسلامي و مبادئه المتمشية مع طبيعة البشر لاشتماله على كافة الحلول و التي بحاجتها البشر فهو صالح لكل زمان و مكان و هذا يعني ماذكرها لنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول (تركت لكم ما أن تمسكتم به لا تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي) لان غيرها يكون اجتهادات قد تخطيء وتصيب ولا يجب أن نشبت بما قد يوقعنا في الأخطاء والتحبيط وهذا من شأنه شدنا إلى الوراء ولا يدفع لنا إلى التقدم والرقى ويدعونا ديننا إلى السعي لمعرفة ما يفيدنا بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ إِذْ أَخْبَرَكَ الْأَخْبَارَ لَوْلَا أَنْ نَحْنُ رَبُّكَ فَانصُرْنَا وَتُؤَكِّدُ الْوَعْدَ لِمَنْ يُؤْتِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ يُكْفَرُونَ﴾ (سورة الرحمن: الآية 31)

ونحن من خلال هذه الآية مدعوون إلى الأخذ بمبدأ العلم سعياً للوصول إلى أهدافنا المرجوه ولا يتعارض ذلك بالأخذ بمبدأ العلم والمعرفة والذي ينير طريقنا إلى التقدم وهذا ما يجعلنا نبني دولتنا بل لغتنا العربية بالأسلوب المتحد به عند الدول المتقدمة في عالمنا المعاش.

المراجع:

- 1- القرآن الكريم، رواية قالون عن نافع المدني.
- 2- ابودبوس، رجب، 1996م، محاضرات في الفلسفة المعاصرة، ليبيا، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
- 3- جيمس، وليام، ترجمة محمد على العريان، 1965م، البراجماتية، القاهرة، دار النهضة العربية.
- 4- زكريا، إبراهيم، 1968 م، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مصر، دار مصر للطباعة، ج1.
- 5- الشنطي، محمد فتحي، 1981م، القاهرة، المعرفة دار الطباعة والنشر.
- 6- لويس، جون، ترجمة أنور عبدالملك، 1978م، مدخل إلى الفلسفة، بيروت، دار الحقيقة.
- 7- مهران، رشوان محمد، 1992م، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، مصر دار الثقافة والنشر والتوزيع.
- 8- هويدي، يحيى، مقدمة للفلسفة العامة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974 م .
- 9- Beck .R.N,1979,Hand book in social macmillon publishing .co . new York.